الأحاديث الواردة
في أُسلوب الداعية إِلى اللّه تعالى

إعداد

علي بن سفر فهد آل مقبل

باحث دكتوراه في جامعة الملك عبد العزيز

والمحاضر في جامعة الملك خالد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرا .

أما بعد: فإن مما يُميّزُ أساليب الدعوة إلى الله عز وجل؛ أنها مستمدةٌ من كتاب الله سبحانه وتعالى وهَدي النبي صلى الله عليه وسلم وفَهم سلف الأُمة رضي الله عنهم، فلقد قصَّ علينا القرآن العظيم دعوة الأنبياء والرسل - عليهم السلام -، وكيف كانت دعوتهم مع أقوامهم، وتنوّع أساليب دعوتهم، ونصوص القرآن زاخرة بذلك، ومن ذلك - على سبيل المثال - ما قصَّه الله من خبر نوحٍ عليه السلام، وكيف كانت أساليب دعوته مع قومه، ويظهر ذلك جليًا في قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾ [نوح: ٥-١٠]، فجمع نوحٌ عليه السلام في خطابه بين أُسلوب الترغيب والترهيب، وأُسلوب الإنكار؛ حيث أنكر عليهم عدم تعظيم الله والخوف من عقابه، والإقرار بوحدانية الله وعظيم صنعه، فقال عز وجل : ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝١٥﴾ [نوح: ١٣-١٥] .

والقرآن الكريم جمع أفضل الأساليب وأبينها، بلغ في جمال الأُسلوب

أعلاه، وفي حُسن الكلام منتهاه، وفي هذا المعنى يُخبر الحق تبارك وتعالى فيقول: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ [الزمر: ٢٣] .

ولا غروَ؛ فقد كان لأَساليب القرآن الكريم وخطابه الأَثر البالغ في نفوس العرب الخُلَّص، زعماءُ البيان، ورموز البلاغة، وقد كان مع ضَراوة بأسهم، وشدة بُغضهم لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم؛ إلا أن أَساليب القرآن أَعجزت عقولهم وأَخذت في نفوسهم كل مأخذ، ومن ذلك ما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا «أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وآله وَسَلَّمَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: يَا عَمِّ ! إِنَّ قَوْمَكَ يَرَوْنَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا . قَالَ: لِمَ ؟ قَالَ لِيُعْطُوكَهُ فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لِتَعْرِضَ لِمَا قِبَلَهُ، قَالَ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ، أَوْ أَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ، قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ فو الله مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجَزِهِ وَلَا بِقَصِيدَتِهِ مِنِّي، وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ . وَاللهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، ووالله إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً[(١)]، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ، مُغْدِقٌ[(٢)] أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَا، وَأَنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ" . [(٣)]

وقد جمع الله تبارك وتعالى المعاني الرئيسة لأَساليب الدعوة في قوله سبحانه: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ

(١) الطَّلَاوَة: الحسن والقبول، يقال: ما عليه طلَاوَة. ينظر: الصحاح للجوهري (٦/ ٢٤١٤).

(٢) الغَدَقُ: المطر الكثير. ينظر: لسان العرب (١٠/ ٢٤).

(٣) دلائل النبوة: البيهقي (١٩٨/٢).

بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل: ١٢٥] .

وأَورد ابن القيم رحمه الله تعالى في سياق الآية قوله: " ذكر سبحانه مراتب الدعوة، وجعلها ثلاثة أَقسامٍ بحسب حال المدعو: فإنه إِمَّا أَن يكون طالبًا للحق راغبًا فيه محبًّا له مؤثرًا له على غيره إِذا عرفه، فهذا يدعى بالحكمة، ولا يحتاج إِلى موعظةٍ ولا جدال .

وإِمَّا أَن يكون معرضًا مشتغلًا بضدِّ الحقِّ، ولكن لو عُرِّفه عَرَفه وآثره واتبعه، فهذا يحتاج مع الحكمة إِلى الموعظة بالترغيب والترهيب .

وإِمَّا أَن يكون معاندًا معارضًا، فهذا يُجادَل بالتي هي أَحسن، فإن رجع إِلى الحقِّ وإِلا انتقل معه من الجدال إِلى الجلاد إِن أَمكن .

فلمناظرة المبطل فائدتان: إِحداهما: أَن يُرد عن باطله ويرجع إِلى الحق .

الثانية: أَن ينكفَّ شرُّه وعداوته، ويَتبين للناس أَن الذي معه باطلٌ" . [1]

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: ابن القيم (٨٦٤/٢).

تمهيد

تعريف الأساليب – وبعض المصطلحات المرتبطة

١- تعريف الأسلوب – الأساليب:

الأَساليبُ جمعٌ، ومفردُها أُسلوب، وهو عند أَهلِ اللغة: يعني الطريق، يقال سلكت أُسلوب فلان في كذا، أَي: طريقته ومذهبه، وطريقة الكاتب في كتابته، والفن يُقال: أَخذنا في أَساليب من القول فنون متنوعة، والصف من النخل أَساليب . (١)

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى التعبير بلفظ (الأَساليب)، وذلك في قوله: "ومن أَعظم التقصير؛ نسبة الغلط إلى متكلم مع إمكان تصحيح كلامه، وجريانه على أَحسن أَساليب كلام الناس" . (٢)

٢- الأُسلوب الدعوي:

والأُسلوب الدعوي: هو الطريقة التي يستطيع الداعية من خلالها مخاطبة الآخرين، وإيصال رسالته للمدعوين، وفهمهم لمُراده .

"وبراعة الأُسلوب، ومراعاة مقتضيات الأَحوال؛ كل ذلك مما يَأخذ بالأَلباب، ويجعل الموعظة تأخذ طريقها إلى القلوب؛ فالعمل على إنقاذ النفوس من أَودية الغواية، والإقبال بها إلى مطالع السعادة مسلك وعر، ولا يمر فيه على استقامة تامة؛ إلا من بلغ في صناعة البيان أَمدًا قَصيا، ولا يكفي في الدعوة أَن يكون في يد القائم بها حجة، أَو موعظة يُلقيها في أَي صورة شاء؛ ذلك أَن المخاطَبين يختلفون ذوقًا، وثقافةً، واختلاف زمنٍ وبيئة .

ومن اللائق أَن تُصاغ دعوة كل طائفة في أَدبٍ يليق بأَذواقها وثقافتها؛

(١) ينظر: المعجم الوسيط، مادة "سلب" (١/ ٤٤١).

(٢) مجموع الفتاوى (١١٤/٣١).

ذلك أَن الموعظة ثقيلة على السمع، مُستحرجةٌ على النفس؛ لاعتراضها الشهوة، ومضادتها للهوى، ولكن صَوغها بأُسلوب رائع يجعلها خفيفة على السمع، سهلةَ النفوذ إلى القلب، وقد تكون معاني الموعظة حاضرةً في ذهن الشخص، ولا يجد في نفسه تأثرًا بها، حتى إذا عُرضت عليه تلك المعاني في أُسلوب بارعٍ وقعت منه موقع الإعجاب، حتى لكأَنها معانٍ جديدة لم يَسبق له بها علم" .[1]

والداعية إلى الله تعالى، له أَن يسلك كل طريقةٍ من الطرائق الممكنة في إيصال الدعوة إلى الناس، بشرط عدم تصادمها مع نصوص الشريعة وقواعدها، ومقصِد هذه الأَساليب هو استصلاح العِباد، وهدايتهم، وارشادهم إلى أَقرب الطرق الموصلة إلى طاعة الله عز وجل واجتناب سخطه وعقابه .

(١) أَدب الموعظة: محمد الحمد ص (٦٤).

الأساليب الدعوية الواردة في الخطاب النبوي

المبحث الأول

أسلوب الموعظة والتذكير

الأَساليب التي تضمَّنتها أَحاديثه صلى الله عليه وسلم وتدل على أُسلوبه وخطابه في دعوته كثيرة ومتنوعة، فأولها:

أسلوب الموعظة والتذكير:

- أُسلوب (الموعظة والتذكير)، والوعظ يُقصد به: "النصح والتذكير بالعواقب . تقول: وعظتُه وعظًا وعِظةً فاتعظ، أَي قَبِل الموعظة . يُقال: السعيد من وُعظ بغيره، والشقي من اتعظ به غيره " . (١)

وقد دلَّت الأَحاديث الكثيرة على أُسلوب الوعظ والتذكير، وأَن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتمثَّله، ومن ذلك ما رواه الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ رضي الله عنه، يَقُولُ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟ قَالَ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ(٢)، حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ» . (٣)

فهذا الوعظ من النبي صلى الله عليه وسلم قائمٌ على أَساليبَ متعددة، وهي التذكير والتحذير والأَمر، فقد ذكَّرَ الصحابة بما مَنَّ الله عليهم من إِكمال

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري (١١٨١/٣).

(٢)الأَنِف: يعني الذي قد عقره الخطام في أَنفه، فهو ليس يمتنع على قائده في شيء؛ للوجع الذي به. ينظر: غريب الحديث: ابن سلام (٢٠/٣).

(٣) رواه ابن ماجه في سننه: أبواب السنة - باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (١٦/١ح٤٣)، وقال الألباني حديث صحيح، ينظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٢٣/١ح٣٧).

الدين وتمام النعمة، وحذَّرهم من الاختلاف والفُرقة، وأَمرهم بلزوم السنة، والتمسك بما كان عليه الخلفاء من بعده، كما أَمرهم بلزوم الطاعة .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعِظ أَصحابه، ويتخوَّلهم بذلك، خشية السآمة وتسلل الملل إلى نفوس المتلقين؛ فيزهد الناس بعد ذلك في عمل الطاعات؛ نتيجةً للسآمة والملل، وفي هذا يروى ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنه؛ حيث يقول: «كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ؛ كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا» .[1]

وفي ذات السياق يُبين ابن حجر رحمه الله تعالى بقوله: "والمعنى كان يراعي الأَوقات في تذكيرنا، ولا يفعل ذلك كل يوم لئَلا نَمَلّ، ويستفاد من الحديث استحباب ترك المداومة في الجد في العمل الصالح؛ خشية الملال وإِن كانت المواظبة مطلوبة، لكنها على قسمين: إِما كل يوم مع عدم التكلف، وإِما يومًا بعد يوم، فيكون يوم الترك لأَجل الراحة ليُقبل على الثاني بنشاط، وإِما يومًا في الجمعة . ويختلف باختلاف الأَحوال والأَشخاص، والضابط هو الحاجة مع مراعاة وجود النشاط، وأَخذ بعض العلماء من الحديث كراهة تشبيه غير الرواتب بالرواتب، وذلك بالمواظبة عليها في وقت معين دائمًا، وجاء عن مالك ما يشبه ذلك " .[2]

وهذا مما ينبغي للداعية أَن يراعيه، وهو أُسلوب تخوُّل الناس بالمواعظ، فله أَعظم الأَثر على نفوس المتلَقين، وذلك بالإِقبال وعدم النفور، والتشوُّف للموعظة والشوق إِليها، وعدم ذلك مجلبةٌ للإِعراض والنفور والاشمئزاز، مع مراعاة بيان منزلة النوافل بالنسبة للفرائض، وعدم الزهد فيها؛ لاسيما المؤكدِ منها .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب العلم - باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا (١/٢٥ح٦٨).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/١٦٢).

المبحث الثاني
أسلوب الترغيب

- ومما ورد في السنة، مما يُستدل به على الأَساليب الدعوية، أُسلوب (الترغيب) والسنة حافلةٌ بذلك، ومنها - على سبيل المثال - ما رواه مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ . قَالَ: "لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ" ثُمَّ قال: "أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ من جَوْفِ اللَّيْلِ" ثُمَّ قَرَأَ ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦ - ١٧]، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ الْجِهَادُ"، ثُمَّ قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ ؟[١] " قُلْتُ: بَلَى . فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ: "تَكُفُّ عَلَيْكَ هَذَا" قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ قَالَ: "ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ[٢] ؟ ! " .[٣]

---

(١) "الملاك بكسر الميم وفتحها لغة، والرواية الكسر، أَي: بما به يملك الإنسان ذلك كله؛ بحيث يسهل عليه جميع ما ذكر". حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٤٧٤/٢).

(٢)بمعنى محصوداتهم على تشبيه ما يتكلم به الإنسان بالزرع المحصود بالمنجل؛ فكما أَن المنجل يقطع من غير تمييز بين رطب ويابس وجيد ورديء، فكذلك لسان المكثار في الكلام بكل فن من الكلام من غير تمييز بين ما يحسن وما يقبح. ينظر: المصدر السابق (٤٧٤/٢).

(٣) رواه ابن ماجه في سننه: أبواب الفتن - باب كف اللسان (١١٦/٥ح٣٩٧٣)، بتحقيق شعيب الأَرناؤوط، وقال حديثٌ صحيح.

والمُتأَمل في الحديث يري كيف استخدم النبي صلى الله عليه وسلم - إلى جانب أُسلوب الترغيب - أُسلوبًا آخر، وهو أُسلوب (التشويق)، وذلك من خلال قوله: " أَلَا أَدُلُّكَ"، وقوله: "أَلَا أُخْبِرُكَ"، وهو أُسلوب يبعث على الإثارة في نفس المُتلَقي، وحُبِّه إلى التطلُّع ومعرفة الأُمور، والفائدة من هذا الأُسلوب هو التزود من الطاعات، والطمع في النعيم المقيم عن الله عز وجل، وقد استخدمه النبي صلى الله عليه وسلم في الأُمور المهمة - كما في الحديث - وقد ورد في السنة في مواضع متعددة، وذلك من خلال تعامله صلى الله عليه وسلم مع أَصحابه، ومع من يفِد إليه ويسأَله عن مسائل الدين .

والمُتتبع لما ورد في" أَحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الجامعة للأَوامر والنواهي - يجد أَنه - يُبدأُ في الأَوامر بالتوحيد، وفي المناهي بالشرك، ومع تتبَّع القرآن والسنة، وتدبر نصوصهما، تبيَّن له أَنها لا تخرج عن الأَمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك، وما يتعلق بذلك، ولم يَخلُق الله الخلق إلا لذلك" . [(١)]

ولأَجل توحيد الله عز وجل وعدم صرف شيء من العبادة لأَحد سواه؛ أَرسل الله الرسل، وأَنزل الكتب، وهو ما يُسمى بتوحيد العبادة، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] .

وفي الحديث السابق دليلٌ على أنَّ الأَعمال سبب لدخول الجنة، وأَنَّ التوفيق كله بيد الله عز وجل، ولمَّا رتَّب دخول الجنة على واجبات الإسلام، دلَّه بعد ذلك على أَبواب الخير من النوافل، وأَن الجهاد أَفضل الأَعمال بعد الفرائض، وأَنَّ كفَّ اللسان إلا عن الخير هو أَصل الخير . [(٢)]

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأُصول: حافظ الحكمي (٤٨٢/٢).

(٢) ينظر: تطريز رياض الصالحين: فيصل آل مبارك ص (٨٤٠ح١٥٢٢).

المبحث الثالث

أسلوب الترهيب

- ومن الأَساليب الواردة في السنة أُسلوب (الترهيب)، وقد استعمله النبي صلى الله عليه وسلم في مواضع من دعوته؛ ومقصودُ هذا الأُسلوب: هو التحذير من أَمرٍ يوقِع في المعصية، ويوجِب لفاعله العقوبة، ومما ورد في شأنه مَا روى عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، أَنَّه قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ . قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً . قَالَ: إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ[1] وَغَمْطُ النَّاسِ» .[2]

ومن خلال ما ورد في الحديث فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الكِبر، وهذا أُسلوب تحذير وترهيب لمن ولج الكبر إلى قلبه، فقد أَخبر النبي صلى الله عليه وسلم أَن الكبر يحول دون الدخول إلى الجنة، وأَن صاحبه ممقوت في حال ومآله، وضده المتواضع الذي يُحبه العباد ويألفونه، ويَرتفع صاحبه وتَعلو مكانته، ويَطيب ذكره .

وفي شأن ذلك يُبين ابن قدامة رحمه الله تعالى درجات الكِبْر بقوله: "واعلم: أَن العلماء والعبَّاد في آفة الكبر على ثلاث درجات:

الدرجة الأُولى: أَن يكون الكبر مستقرًا في قلب الإنسان منهم، فهو يرى نفسه خيرًا من غيره، إلا أَنه يجتهد ويتواضع، فهذا في قلبه شجرة الكبر مغروسة، إلا أَنه قد قطع أَغصانها .

---

(١) احتقارهم، يقال في الفعل منه: غمَطه بفتح الميم يغمِطه بكسرها، وغمِطه بكسر الميم يغمَطه بفتحها، وأَما بطر الحق فهو: دفعُه وإنكاره ترفعًا وتجبُّرًا". ينظر: شرح النووي على مسلم (٢/ ٩٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان - باب تحريم الكبر (١/٦٥ح٩١).

الدرجة الثانية: أَن يُظهر لك بأَفعاله من الترفُّع في المجالس، والتقدم على الأَقران، والإِنكار على من يُقصِّر في حقه، فترى العالم يُصعِّر خده للناس، كأَنه مُعرضٌ عنهم، والعابد يعيش ووجهه كأَنه مُستقذر لهم، وهذان قد جَهِلا ما أَدَّبَ الله به نبيه صلى الله عليه وسلم، حين قال: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾ [الشعراء: ٢١٥] .

الدرجة الثالثة: أَن يُظهر الكبر بلسانه، كالدعاوى والمفاخر، وتزكية النفس، وحكايات الأَحوال في معرض المفاخرة لغيره، وكذلك التكبُّر بالنسب، فالذي له نسبٌ شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب؛ وإِن كان أَرفع منه عملاً" . (١)

ومعلوم أَن هذا الكبر من كسب العبد الداخل تحت قدرته ومشيئته، وهو منهي عنه ومأمور بضده، فخاف السائل في الحديث؛ أَن يكون ما يتجمَّل به الإِنسان، فيكون أَجمل به ممن لم يعمل مثله؛ هو من الكبر المذموم، فقال: إِني أُحب أَن يكون ثوبي حسنًا، ونعلي حسنا، أَفمن الكبر ذاك ؟

وحُسنُ ثوبه ونعله هو مما حصل بفعله وقصده، ليس هو شيئًا مخلوقًا فيه بغير كسبه كصورته، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : "إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ" فَفَرقَ بين الكبر الذي يمقته الله، وبين الجمال الذي يحبه الله . (٢)

وعليه فقد تبين كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعمل هذا الأُسلوب (الترهيب)، فقد حذَّر في الحديث غاية التحذير من الكبر ولوازمه، وهذا الأُسلوب متعدد الورود في السنة، فقد حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم من

(١) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ص (٢٢٩).

(٢)ينظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية: ابن تيمية (٣١٩/٥).

الشرك، وحذَّر من الظلم، كما حذَّر من الكبائر بأَنواعها، وحذَّر من قطيعة الرحم، وإِيذاء الجار، وهو أُسلوبٌ يرتدِع معه العبد عن مقارفة الذنوب، ويحمله ذلك على الخوف، وعدم الوقوع فيما نهى الله جل وعلا عنه .

المبحث الرابع
أسلوب التعريض أو التلميح

- ومن الأَساليب الواردة في السنة أُسلوب (التعريض أَو التلميح) دون التصريح، وذلك في النصح والتوجيه، وقد تعددت الأَحاديث الواردة في هذا الشأن، ومنها - على سبيل المثال - ما روت عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: «أَتَتْهَا بَرِيرَةُ[1] تَسْأَلُهَا فِي كِتَابَتِهَا فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتِ أَعْطَيْتُ أَهْلَكِ، وَيَكُونُ الْوَلَاءُ لِي[2]، وَقَالَ أَهْلُهَا: إِنْ شِئْتِ أَعْطَيْتِهَا مَا بَقِيَ وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: إِنْ شِئْتِ أَعْتَقْتِهَا وَيَكُونُ الْوَلَاءُ لَنَا . فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَكَّرَتْهُ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ابْتَاعِيهَا: فَأَعْتِقِيهَا، فَإِنَّ الْوَلَاءَ لِمَنْ أَعْتَقَ . ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْمِنْبَرِ وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً: فَصَعِدَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا، لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ مَنِ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ، فَلَيْسَ لَهُ، وَإِنِ اشْتَرَطَ مِائَةَ مَرَّةٍ» .[3]

---

(١) بريرة، مولاة لعائشة رضي الله عنها، قيل: كانت مولاة لقوم من الأَنصار، وقيل غيرهم، اشترتها عائشة، وأَعتقتها، وكانت تخدم عائشة قبل أن تشتريها، وقصّتها في الصحيحين، وكان اسم زوجها مغيثا، وكان مولى فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختارت فراقه، وكان يحبها، فكان يمشي في طرق المدينة وهو يبكي، واستشفع إليها برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها فيه، فقالت: أتأمر؟ قال: "بل أَشفع." قالت: فلا أُريده. وقد اختلف في زوجها: هل كان عبداً، أَو حرا. والصحيح أَنه كان عبدا، (ولم أَقف على تاريخ وفاتها). ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (٥٠/٨).

(٢) " ويكون الوَلاء لي" بفتح الواو، وهو في عرف الفقهاء عبارة عن تناصر يوجب الإرث، والعقد والولاء في اللغة: النصرة والمحبة، إلا أَنه اختص في الشرع: بولاء العتق، والموالاة، واشتقاقه من الولي وهو: القرب. ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (٢٢٢/٤).

(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الصلاة - باب البيع والشراء على المنبر (٩٨/١ح٤٥٦).

وهذا الأُسلوب من النبي صلى الله عليه وسلم مِنَّةٌ على كمال خُلُقه؛ حيث لا يواجه المخالِف - مباشرةً - بما يكره، ولكنَّه يقول: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ"، وهذا من فقه الدعوة ومما ينبغي للداعية أن يتفطَّنَ له، ويكون به قد استمال قلوب المدعوّين، وهو مما له الأَثر في قبول الدعوة .

وفي هذا المعنى يبين أنس بن مالك رضي الله عنه حال النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَا يُوَاجِهُ أَحَدًا فِي وَجْهِهِ بِشَيْءٍ" . (١)

"وهذا أَبلغ وأَعم نفعًا؛ لحصول الفائدة فيه لكل سامع، مع ما فيه من حُسن المدارة، والستر على الفاعل، وتأليف القلوب" . (٢)

وفي الحديث قصةُ بَريرة، وكانت أَمَةً مملوكة، ولكنها أُعتِقت؛ وذلك لأَنها مملوكة لقوم من قريش، فاشترت نفسها منهم بثمن مُؤجل، وأَرادت أَن تشتغل حتى تُؤدِي ثمنها، فجاءت إِلى عائشة - رضي الله عنها - تطلب منها أَن تُعينها في دفع الثمن، وعَرفت عائشة فيها الأَهلية والكفاءة والحِذق؛ فاختارت أَن تُعينها على العتق، فقالت: أَنا أَدفع لك كامل الثمن؛ لِتُعطيه مواليك ويكون الولاءُ لي - والولاءُ: هو الانتساب - ولكن أُولئك الذين كانوا يملكونها أَصروا أَو امتنعوا إِلا أَن يكون الولاء لهم، يريدون بذلك أَخذ الثمن، ومع ذلك يكون الولاءُ لهم . فلما عَلِم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم أَخبر بأَن هذا خلاف شرع الله، وخِلاف حُكم الله، وأَن الولاءَ لمن أَعتق، فقال: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا، لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ . . .". فأَصبحت هذه قاعدة من القواعد الشرعية: "الْوَلَاءَ لِمَنْ أَعْتَقَ"، والولاء: هو ولاءُ العتاقة، يعني: العتيق يوالي من

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى: كتاب عمل اليوم والليلة - باب ترك مواجهة الإنسان بما يكره (٩/٩٨ح٩٩٩٤).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف بن تاج العارفين (٢/٢٦٧).

أَعتقه ويَنتسِب إِليه، ولا يكون لغير من أَعتق؛ وذلك لأَنه مقابل هذه النعمة .[1]

وعليه فإن هذا الأُسلوب الذي استعمله النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قوله: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ" جديرٌ بالنظر والتأمل من قِبل الدعاة إِلى الله؛ لما يتضمنه من سمو الأَخلاق، ورُقيّ التعامل مع المخطئ والمخالف .

(١) ينظر: شرح عمدة الأَحكام: ابن جبرين (٩٥/١٢)، وهي دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http: //www.islamweb.net.

المبحث الخامس
أسلوب الحكمة

- ومما دلت عليه السنة النبوية الشريفة، من الأَساليب الدعوية المهمة؛ أُسلوب (الحكمة) والتروّي والملاطفة، ويتضح ذلك جليًا في قصَّة الشاب الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الزنا، وذلك فيما روى أَبو أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ . مَهْ . فَقَالَ: " ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا " . قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: " أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ ؟ " قَالَ: لَا . وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ . قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ " . قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟ " قَالَ: لَا . وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ " . قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ ؟ " قَالَ: لَا . وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ . قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ " . قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ " قَالَ: لَا . وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ . قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ " . قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟ " قَالَ: لَا . وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ . قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ " . قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: " اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ . (١)

ومن تأَمل موقف النبي صلى الله عليه وسلم يَجد الفَرقَ واضحٌ بين موقف القوم الذين أَقبلوا على الشاب وزجروه، وموقف النبي صلى الله عليه وسلم الذي تميَّز بالحكمة والملاطفة والتروّي وعدم المصادمة، كما استعمل النبي صلى الله عليه وسلم مع هذا الشاب أُسلوبًا مهمًا آخر، وهو إيقاظ مشاعر الغَيرة عنده، واستنهاضها في نفسه، وذلك بقوله: "أَتُحِبُّهُ

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٦/٥٤٥ح٢٢٢١١)؛ وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رجاله رجال الصحيح (١/ ١٢٩).

لِأُمِّكَ" ثم قوله: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ "، وهذا يبعث في نفوس الدعاة إلى الله؛ أَن يستلهموا في دعوتِهم هذا الأُسلوب النبوي العظيم نفعه، والذي يحمل المدعوَّ إلى الانصياع لأَوامر الله عز وجل، والابتعاد عن النواهي .

وقد تضمن هذا الحديث النبوي الواسع في معانيه؛ أُسلوبًا دعويًا مهمًا في الدعوة إلى الله تعالى، وهذا الأُسلوب هو أُسلوب (الحوار)، وأُسلوب (الإقناع)، فقد حاور النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشاب بحوار لطيف مقنع، وذلك من خلال سؤالاته واستفهاماته التي وجهها إليه، وذلك من خلال محاورةٍ يكتنفها الرفق واللين المُفضي للقناعة، وترك الأَمر الذي جاء لأَجله وبُغضه إياه، ولم يقف الأَمر عند ذلك؛ بل نال شرف دعوة النبي صلى الله عليه وسلم له، وأَعظِم بها من دعوة، وقد كان من خطاب الله سبحانه وتعالى لنبيه موسى وأَخيه هارون حين أَمرهم بدعوة فرعون؛ أَن يكون ذلك بأُسلوبٍ حكيمٍ ليّن؛ لأَن استعمال مثل هذا الأُسلوب في الدعوة إلى الله تعالى، من شأنه أَن يستميل القلب - إلا من استكبر وعاند وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ - [النازعات: ٢٤]؛ حيث قال عز وجل لموسى وأَخيه: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤] .

وفي هذا السياق يُبين صاحبُ "أَضواء البيان" المعنى المراد من قوله تبارك تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]؛ حيث يقول: "أَمر الله جل وعلا نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية الكريمة: أَن يُجادل خصومه بالطريق التي هي أَحسنُ طرق المجادلة: من خلال إيضاح الحق بالرفق واللّين . وعن مجاهد: وجادلهم بالتي هي أَحسن، قال: أَعرض عن أَذاهم . وقد أَشار إلى هذا المعنى في قوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، أَي: إلا الذين نَصَبوا

للمؤمنين الحرب فجادلهم بالسيف حتى يُؤمنوا، أَو يُعطُوا الجزية عن يد وهم صاغرون .

ونظير ما ذكر هنا من المجادلة بالتي هي أَحسن، قوله لموسى وهارون في شأن فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]، ومن ذلك القول الليّن: قول موسى له: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات: ١٨-١٩] " .[١]

وهذا مما ينبغي للداعية أَن يراعيه في دعوته إِلى الله تعالى، وذلك باختيار أَفضل الأَساليب وأَنجعِها وأَقربِها تسلُّلاً إِلى قلوب المدعوين، كما أَن لكل أَحدٍ من المدعوين طريقته واختيار الأُسلوب المناسب له، كلٌ على حسب حاله .

وقد استعمل الصحابة رضي الله عنهم أُسلوب الحوار، ومن ذلك ما فعله ابن عباس رضي الله عنه مع الخوارج، وذلك في خلافة علي بن أَبي طالب رضي الله عنه؛حيث استطاع - بهذا الأُسلوب الرفيع - أَن يعالج ما لديهم من انحراف فكري، كان من جَرَّائه رجوع ما يقرب من أَلفي شخص عن أَفكارهم ومعتقداتهم .[٢]

والحوار والمناظرة ناجعةٌ في حق من يُلتَمس منه طلب الحق والهداية، لا من كان شأنه العناد والاستكبار عن الحق؛ "لأَن مناظرة السلف لأَهل البدع تعتبر بالجملة قليلة، ولا يناظرونهم إِلا إِذا رأوا أَن المصلحة تقتضي ذلك وفي مجامع عامةٍ وعلنية .

وهي - أَيضًا - لا تكون إِلا مع من يُرجى منه الرجوع، أَما المعاندين منهم المصرين على بدعهم الداعين إِليها؛ فإنهم كانوا يحذرونهم ويحذرون منهم، وهذا من باب

(١) أَضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأَمين الشنقيطي (٤٦٥/٢).

(٢) ينظر: إِعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (٢١٥/١).

الحزم وإنكار المنكر، والبعد عن الشر قبل الوقوع فيه، فإن مجالسة أهل البدع والاستماع لكلامهم قد يجذِب الشخص إليهم، وقد يتشوش فكره بكلامهم، فإذا حُسم الشر من أوله، كان أضمن لسلامته" .[1]

وهذا مما ينبغي للداعية إلى الله تعالى، أن يكون منه على وعيٍ وحذر؛ لأن مجالسة أهل البدع مظنَّة الوقوع في الشبهات التي حذر النبي صلى الله عليه وسلم منها بقوله: "إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ . فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ[2] . وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ . كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى . يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ . أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى . أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ . أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ . أَلا وَهِيَ القَلْبُ" .[3]

والله تبارك وتعالى له حمىً وهي محارمه، أي: المعاصي التي حرمها الله، كالقتل والزنا والسرقة والقذف والخمر والكذب والغيبة والنميمة وأكل المال بالباطل، وأشباه ذلك، فكل هذا حمى الله تعالى، من دَّخله بارتكابه شيئًا من المعاصي؛ استحق العقوبة، ومن قاربه يوشك أن يقع فيه، فمن احتاط لنفسه لم يُقاربه، ولا يتعلق بشيء يَقربه من المعصية، فلا يدخل في شيء من الشبهات .[4]

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها: غالب عواجي (١٤٦/١).

(٢) أي: "حصل له البراءة لدينه من الذم الشرعي، وصان عرضه عن كلام الناس فيه". شرح النووي على مسلم (٢٨/١١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه: كتاب المساقاة - باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٢١٩/٣ح١٥٩٩).

(٤) ينظر: شرح النووي على مسلم (٢٨/١١).

المبحث السادس
أسلوب التَّدرج

- ومما دلت عليه الأَحاديث النبوية من الأَساليب الدعوية؛ أُسلوب (التَّدرج) في الدعوة الله تعالى، ويتجلى ذلك من خلال حديث ابن عباس رضي الله عنهما؛ حيث قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: "إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ[(١)]، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى: أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ[(٢)]، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حجاب" .[(٣)]

"ولما كان مفتاح الدعوة الإلهية معرفة الربّ تعالى قال أَفضل الداعين - إليه سبحانه - لمعاذ بن جبل رضي الله عنه وقد أَرسله إلى اليمن: "إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ . . . "، فأَساسُ دعوة الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم -

(١) "هي كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها؛ لكون أَهل الكتاب أَهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأَوثان، وليس فيه أَن جميع من يقدم عليهم من أَهل الكتاب؛ بل يجوز أَن يكون فيهم من غيرهم؛ وإِنما خصهم بالذكر تفضيلاً لهم على غيرهم". فتح الباري لابن حجر (٣/٣٥٨).

(٢) "جمع كريمة، وهي: خيار المال؛ أَي: اتق نفسك أَن تأخذ خيار أَموالهم، يدل على أَن ليس للساعي أَخذ خيار المال إلا أَن يتبرع رب المال". شرح المصابيح لابن الملك (٢/٣٩٤).

(٣) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الزكاة - باب أَخذ الصدقة من الأَغنياء (٢/٥٤٤ح١٤٢٥).

معرفةُ الله سبحانه، بأَسمائه وصفاته وأَفعاله، ثم يتبع ذلك أَصلان عظيمان:

أَحدهما: تعريف الطريق الموصلة إِليه، وهي شريعته المتضمنة لأَمره ونهيه .

الثاني: تعريف السالكين ما لهم بعد الوصول إِليه من النعيم الذي لا ينفد، وقرة العين التي لا تنقطع .

وهذان الأَصلان تابعان للأَصل الأَول، ومبنيَّان عليه، فأَعرف الناس بالله أَتبعهم للطريق الموصل إليه، وأَعرفهم بحال السالكين عند القدوم عليه" . [1]

ويظهر جليًا للمتأَمل في الحديث، كيف استعمل النبي صلى الله عليه وسلم أُسلوب التدرج حين بعث معاذاً رضي الله عنه إِلى اليمن؛ حيث أَمره أَن يبدأَ بأَهم أَمرٍ وهو الدعوة إِلى توحيد الله وإِفراده بالعبادة، ثم تدرج بعد ذلك إِلى دعوتهم لإِقامة الصلاة، ثم دعوتهم لأَخذ الزكاة من أَغنيائهم وتردُّ على فقرائهم، كما أَخبره بأَنهم أَهل كتابٍ فيتهيأَ للرد عليهم، وفي هذا لفتةٌ عظيمة، وهي أَن الداعية يلزمه أَن يكون على دراية بحال المدعوين، حتى يتسنى له دعوتهم بما يناسب حالهم من أَساليب الدعوة المتنوعة، كما أَن من فقه الدعوة أَن يبدأَ الداعية بالمسائل العِظام، ثم التي تليها، فكلما استوعب المدعوُّ مسألة، انتقل إِلى التي تليها، وهكذا أَرشد النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضي الله عنه .

ومما تجدر الإِشارة إِليه مما قد يُخالف المنهج الدعوي؛ تنزيل بعض النصوص النبوية في غير منزلها، وإِعمالها في غير مكانها، ومن ذلك ما قد يرد عنه صلى الله عليه وسلم من أَمرٍ أَو نهيٍ؛ يقوم الداعية بحمل ذلك النصِ على عمومه، والعمل به، وتطبيق مقتضياته دون إِمعان النظر في حال النصِّ وفهم المراد منه .

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: ابن القيم (٦/١).

المبحث السابع
أسلوب ضرب الأمثال

- ومما ورد في السنة من الأَساليب الدعوية التي تمثَّلها النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته، أُسلوب (ضرب الأَمثال) ويتضح ذلك من الأَحاديث الواردة في ذلك، ومنها - على سبيل المثال - ما ورد عَنْ جَابِر بن عبد الله رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا، وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا، وَيَقُولُونَ: لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ ! قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ؛ جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ» .(١)

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يضرب الأَمثال لأَصحابه؛ حيث يُفضي ذلك إلى تقريب المقصود وفهم المراد، يقول عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بن العاص رضي الله عنه: «حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَلْفَ مَثَلٍ» .(٢)

والعرب يميلون في كلامهم إلى ضرب الأَمثال؛ وحيث نزل القرآن الكريم بلغتهم فهو زاخرٌ بضرب الأَمثال، والغرض من ذلك التفكُّر والتدبُّر، وفيه يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: ٢١]، وقال المولى عز وجل : ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا

(١) رواه مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل - باب كونه صلى الله عليه وسلم خاتم الأَنبياء (٦٥/٧ح٢٢٨٥).

(٢) الأَمثال في الحديث النبوي: لأَبي الشيخ الأَصبهاني (١/٢٩).

لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٣] .

"وضرب الأَمثال في القرآن يستفاد منه أُمور كثيرة: التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس؛ فإن الأَمثال تصوّر المعاني بصورة الأَشخاص؛ لأَنها أَثبت في الأَذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، ومن ثم كان الغرض من المثَل؛ تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، وتأتي أَمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأَجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأَمر، أَو تحقيره، وعلى تحقيق أَمر أَو إِبطاله، وهو من خصائص هذه الشريعة، ولضرب العرب للأَمثال، واستحضار العلماء للنظائر؛ شأن ليس بالخفي في إِبراز خفيَّات الدقائق، ورفع الأَستار عن الحقائق تُريك المُتخيل في صورة المُتحقق، والمُتوهم في مَعرض المُتيقن، والغائب كأَنه مُشاهد، وفي ضرب الأَمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة، ولذلك أَكثر الله تعالى في كتابه، وفي سائر كتبه الأَمثال، ومن سور الإِنجيل سورةٌ تُسمى سورة الأَمثال، وفشت الأَمثال في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكلام الأَنبياء والحكماء" . (١)

وفي الحديث شبَّه النبي صلى الله عليه وسلم "الأَنبياء وما بُعثوا به من إِرشاد الناس إِلى مكارم الأَخلاق؛ بدار أُسس قواعده، ورُفع بُنيانه وبقي منه موضع لَبِنة، فنبينا صلى الله عليه وسلم بُعث لتتميم مكارم الأَخلاق؛ كأَنه هو تلك اللَّبنة التي بها إِصلاح ما بقي من الدار" . (٢)

وبهذا شرَّف الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمقام ختم النبوة، وإِكمال الرسالة، وأَكرمه بهذا الفضل، فرسالته خاتمة الرسالات ولا حقَّ لمدعٍ للنّبوة بعده، "فبه كَمُل دين الله المتضمن للأَمر بكل معروف، والنهي عن كل منكر،

(١) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي (٤/٤٥).

(٢) عمدة القاري: العيني (١٦/٩٨).

وإحلال كل طيب وتحريم كل خبيث، وأما من قبله من الرسل؛ فقد كان يَحرم على أُممهم بعض الطيبات كما قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠]، وربما لم يحرم عليهم جميع الخبائث كما قال تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ [آل عمران: ٩٣]، وتحريم الخبائث يندرج في معنى " النهي عن المنكر " كما أن إحلال الطيبات يندرج في " الأمر بالمعروف "؛ لأن تحريم الطيبات مما نهى الله عنه، وكذلك الأمر بجميع المعروف والنهي عن كل منكر مما لم يتم إلا للرسول؛ الذي تمَّمَ الله به مكارم الأخلاق المندرجة في المعروف، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فقد أكمل الله لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضيَ لنا الإسلام دينا" .

ومن هذ الأُسلوب النبوي الكريم - أُسلوب (ضرب المثل) - يَقتنص منه الداعية إلى الله عز وجل طريقة في دعوته، وذلك بضرب الأمثال عند الحاجة إليها، ليسهل على المُتلقي والمتعلم فهم المقصِد والمراد، وفي ذلك تنويعٌ في العرض يَحمل السامع على الإصغاء والاستيعاب والتطبيق .

المبحث الثامن
أسلوب القدوة

- ومن الأَساليب الدعوية التي دلت عليها السنة النبوية أُسلوب الدعوة بـ(القدوة)؛ حيث يُعتبر هذا الأُسلوب من أَهم الأَساليب الدعوية، وقد حثَّت عليه نصوص السنَّة، ومن ذلك ما ورد عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنه قَالَ: (مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ والسَّوء، كَحَامِلِ الْمِسْكِ[1] وَنَافِخِ الْكِيرِ[2]، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحذيَك[3]، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحرق ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تجد ريحاً خبيثة) .[4]

"وفيه إِرشادٌ إِلى الرغبة في صُحبة الصُلحاء والعلماء ومُجالستهم؛ فإنها تنفع في الدنيا والآخرة، وإِلى اجتناب صحبة الأَشرار والفسَّاق؛ فإنها تَضر دينًا ودنيا . وقيل: مصاحبة الأَخيار تُورث الخير، ومصاحبة الأَشرار تورث الشر؛ كالريح إِذا هبَّت على الطِيب عَبِقت طِيبا، وإِن مرت على النَّتن حملت نَتَنا .

---

(١) "إِنما أُدخل المسك في هذا الباب (باب المسك)؛ ليدل على تحليله إِذ أَصله التحريم؛ لأَنه دم، فلما تغير عن الحالة المكروهة عن الدم، وهو الزهم وبفيح الرائحة، صار حلالاً بطيب الرائحة، وانتقلت حاله وكانت حاله كحال الخمر تتحلل، فتحِلُ بعد أَن كانت حرامًا بانتقال الحال، وأَصل هذا في كتاب الله تعالى في قصة موسى: ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۝ ﴾ [طه: ٢٠-٢١] (فحَكَم لها بما انقلبت إِليه، وأَسقط عنها حكم ما انقلبت عنه، وحديث أَبى موسى حُجة في طهارة المسك". شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤٤٥/٥).

(٢)الكير بالكسر: كير الحداد، وهو المبني من الطين. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأَثير (٢١٧/٤).

(٣) أَي: يُعطيك. ينظر: المصدر السابق (٣٥٨/١).

(٤) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الذبائح والصيد - باب المسك (٢١٠٤/٥ح٥٢١٤).

وقيل: إذا جالست الحمقى عَلِقَ بك من حماقتهم ما لا يَعلق لك من العقل إذا جالست العقلاء؛ لأَن الفساد أَسرع إلى الناس وأَشد اقتحام لما في الطبائع، والحاصل أَن الصحبة تُؤثر" . (١)

والإِنسان ميَّال بطبعه إلى التأَسي والاقتداء سواءً كان ذلك في الخير أَم في الشر، ومن شأن الداعية إلى الله أَن يجعل من نفسه قدوةً في الخير، ويجتهد في ذلك ما استطاع، فإن من يَسمعُ له سيأخذ من عِلمه وعَمله وسلوكه؛ بل سيتأثر المُستمع حتى بمظهره، ولذا كان لزامًا على الدعاة إلى الله أَن يراعوا ذلك في دعوتهم، وأَن يكونوا خير مثالٍ وقدوة؛ وذلك لتأثر الناس بهم، فلا يَرى المدعوون منهم إلا كل فضيلة، يُهدون أَطيب الكلام، ويَقرِنون العلم بالعمل، فهم كحامل المسك إما أَن يُحذيك وإما أَن تجد منه ريحاً طيبة .

"وحق الإِنسان أَن يتحرَّى بغاية جُهده مصاحبة الأَخيار؛ فإنها قد تجعل الشرير خيّرًا، كما أَن مصاحبة الأَشرار قد تجعل الخيِّرَ شريرًا، قال بعض الحكماء: من صَحب خيّرًا أَصابته بركته، فجليس أَولياء الله لا يشقى، وقد قيل: جالِسوا من تُذكركم اللَّهَ رؤيته، ويزيد في خيركم نُطقه، وقيل: إِياك ومجالسة الأَشرار؛ فإن الطَبع يَسرق من الطَبع وأَنت لا تدري، ومعلوم أَن الماء والهواء يَفسِدان بمجاورة الجيف إِذا قَرُبت منهما، وذلك مما لا ينكره ذو تجربة، فإذا كانت هذه الأَشياء قد بلغت في قبول التأثير هذا المبلغ؛ فما الظن بالنفوس البشرية !" . (٢)

والنبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف أَشار إلى قدوتين: فقدوة حسنة، وأُخرى سيئة، والداعية في نظر المدعوين من أَرباب القدوة الحسنة، والقدوة الحسنة قد تَمثَّل أَصحابها هدي المصطفى صلى الله عليه

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي القاري (٨/٣١٣٦ح٥٠١٠).

(٢) الذريعة إلى مكارم الشريعة: الراغب الأَصفهاني ص (٢٥٩).

وسلم، وسلكوا طريقته ومنهجه، وتأسوا به، ونقلوا ذلك واقعًا عمليا، ومن خلال ذلك الأَثر الذي تركه الداعية القدوة في نفوس مدعوّيه، فقد أَفضى الأَمرُ إلى صناعةِ قُدوات آخرين؛ يحملون للمجتمع الفضائل والخِلال، والقيم والمبادئ والمُثُل، ويُنتج ذلك تكوين مجتمعات متماسكة، تَعي وتقدِّر مسؤوليتها تجاه دينها وأَوطانها ومُكتسباتها، وعليه فإن الدعاة هم صناع القُدوة .

ومما ينبغي الإشارة إليه، أَن المقلد للقدوة المحاكي له؛ إذا تبيَّن له المُفارقة بينَ القول والعمل، وظهر له التباين والاختلاف، وعدم التطابق بين المنطوق والواقع؛ فإن ذلك يورث في نفسه شعورًا يحمله على الاعتقاد بأَن ما يقوله القدوة لا يمكن تطبيقه والعمل به، وذلك من خلال اعتماده على مشاهداته وملاحظاته له، وبهذا يتضح خطر الاقتداء والتأَسي إذا جانب القدوة الطريق المستقيم وحاد عن النهج القويم .

وفي هذا المعنى يُبيّن الإمام الطبري رحمه الله تعالى المقصود من قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وذلك بقوله: "يقول تعالى ذكره: "هم الذين هداهم الله لدينه الحق، وحفظ ما وُكلوا بحفظه من آيات كتابه، والقيام بحدوده، واتباع حلاله وحرامه، والعمل بما فيه من أَمر الله، والانتهاء عما فيه من نهيه، فوفَقَهم - جل ثناؤه - لذلك (فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ) أي: فبالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وفقناهم " ٱقۡتَدِهۡ" يا محمد، أَي: فاعمل، وخذ به واسلكه، فإنه عملٌ لله فيه رضًا، ومنهاجٌ من سلكه اهتدى" . [1]

ويتبين من هذا أَنَّ الدعوة بالقدوة لها الأَثر البالغ؛ حيث لا يخفى دخولُ فئامٍ من البشر في دين الإسلام عن طريق التأَثر بالقدوة، وقد بلغ الإسلام

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري (٥١٩/١١).

أَقاصي الأَرض ودخل الناس فيه بسبب القدوة وما تتضمنه من الخلق القويم والمعاملة الحسنة، وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أَن المرءَ يتأَثر بمن يقتدي به، وذلك في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه؛ حيث قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» (١).

ويُبين الماوردي رحمه الله تعالى عند حديثه في شأن القدوة بقوله: "فإذا كاثَرهم المُجَالس، وطاولهم المُؤانس، أَحب أَن يَقتدي بهم في أَفعالهم، ويتأَسى بهم في أَعمالهم، ولا يرضى لنفسه أَن يُقصر عنهم، ولا أَن يكون في الخير دونهم، فتبعثه المنافسة على مساواتهم، وربما دعته الحميَّة إِلى الزيادة عليهم والمكاثرة لهم فيصيروا سببًا لسعادته، وباعثًا على استزادته .

والعرب تقول: لولا الوئام لهلك الأَنام . أَي: لولا أَن الناس يرى بعضهم بعضا فيُقتَدي بهم في الخير لهلكوا . ولذلك قال بعض البُلغاء: من خَير الاختيار صُحبة الأَخيار، ومن شر الاختيار مودة الأَشرار؛ لأَن للمصاحبة تأثيرًا في اكتساب الأَخلاق، فتصلُح أَخلاق المرء بمصاحبة أَهل الصلاح، وتفسُد بمصاحبة أَهل الفساد" . (٢)

وهكذا ينبغي للدعاة إِلى الله تعالى أَن يُولوا شأن القدوة غاية الاهتمام، فإنها من معايير التقييم عند المتلَقين؛ بل هي أَهم معايير التلقي والقبول لديهم .

(١) رواه الترمذي: أبواب الزهد - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب (٤/٥٨٩ح٢٣٧٨)، وقال حديث حسن صحيح.

(٢) أَدب الدنيا والدين: الماوردي ص (١٠٧).

المبحث التاسع
أسلوب البشارة

- ومن الأَساليب الدعوية التي دلَّت عليها نصوص السنة النبوية المطهرة أَسلوب (البِشارة)، فقد كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم أَن يُبشر أَصحابه، وقد ورد ذلك في مواضع متعددة، ومنها - على سبيل المثال - ما كان من شأن كعب بن مالك رضي الله عنه، وكان من النفر الذين تخلَّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك؛ حيث يقول رضي الله عنه : "فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى[1] عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ، أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ، وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ: يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ[2] .

---

(١) أَوفى: أَشرف وأَطلع. ينظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأَثير (٥/ ٢١١).

(٢) قالوا: سبب ذلك أَن النبي صلى الله عليه وسلم كان آخى بينه وبين طلحة لما آخى بين المهاجرين والأَنصار. ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٢٢/٨).

قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ، قَالَ: لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ . . .". (١)

وقد أَورد ابن حجر رحمه الله تعالى في سياق الحديث فوائدَ من أَهمها قوله: "وقد نبَّه الحسن البصري على ذلك فيما أَخرجه بن أَبي حاتم عنه قال: يا سبحان الله ! ما أَكل هؤلاءِ الثلاثة مالًا حراما، ولا سفكوا دمًا حراما، ولا أَفسدوا في الأَرض؛ أَصابهم ما سمعتم وضاقت عليهم الأَرض بما رحبت، فكيف بمن يُواقع الفواحش والكبائر . وفيه أَن القوي في الدين يُؤاخذ بأَشد مما يؤاخذ الضعيف في الدين، وجواز إِخبار المرء عن تقصيره وتفريطه، وعن سبب ذلك وما آل إِليه أَمره تحذيرًا ونصيحةً لغيره، وجواز مدح المرءِ بما فيه من الخير إِذا أَمن الفتنة، وتسلية نفسه بما لم يحصل له بما وقع لنظيره، وفيه أَن المرء إِذا لاحت له فرصة في الطاعة فحقه أَن يبادر إِليها ولا يُسوّف بها لئلا يُحرمها كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وفيها الحكم بالظاهر وقبول المعاذير، وإِجراء الأَحكام على الظاهر ووكول السرائر إِلى الله تعالى، وفيها تبريد حَرِ المصيبة بالتأَسي بالنظير، وفيها عِظم مقدار الصدق في القول والفعل وتعليق سعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شرهما به، وفيها مشروعية سجود الشكر والاستباق إِلى البشارة بالخير، وإِعطاء البشير أَنفس ما يحضر الذي يأتيه بالبشارة، وتهنئة من تجددت له نعمة، والقيام إِليه

(١) رواه البخاري في صحيحه: كتاب المغازي - باب حديث كعب بن مالك (٦/٣ح٤٤١٨).

إذا أَقبل" . [1]

وأُسلوب التبشير من الأَساليب المهمة في الدعوة إلى الله تعالى، وذلك لما يحصل به من الخير، والشكر للمُنعم على ما أَسدى - كما جرى لكعب مالك رضي الله عنه -؛ وحيث إن لهذا الأُسلوب تأثيرًا في حياة المدعوين، يحملهم على الفأل وحُسن الظن بالله عز وجل، وانشراحُ الصدر وطيب النفس؛ والإقبال وعدم النفور، وتأليف القلب ومحبة الطاعات، والانقياد لأَوامر الله تعالى والابتعاد عن معاصيه، ومحبة الدعاة إلى الله وقَبول دعوتهم، كما أَن من فوائد هذا الأُسلوب الرضا والتسليم، وشكر الله سبحانه على نعمه ودفع نقمه .

(١) فتح الباري لابن حجر (١٢٣/٨).

المبحث العاشر
أسلوب القصص

- ومن الأَساليب الدعوية الوارِد ذكرها في السنة النبوية؛ أُسلوب (القَصص) أَو الأُسلوب القصصي، وقد كان لهذا الأُسلوب شأن في القرآن والسنة، وذلك لأَثره على المستمع في جودة الفهم والاستيعاب، فإن النفس البشرية ميَّالة إِلى سماع السرد القصصي، فإن في القصص حِكم وعِبر، وقد بيَّن الله عز وجل الغاية من القصص في قوله: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يوسف: ١١١] .

وقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم هذا الأُسلوب من خلال حواره مع الناس؛ ليستشهد على حدث ما، أَو يمثِّل أَو يعلل؛ حيث يكون ذلك أَدعى للفهم وأَسرع في التوضيح والبيان .

ومن تلك الأَحاديث التي استعملها النبي صلى الله عليه وسلم فيها الأُسلوب القصصي، ما رواه ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّهُ وَاللهِ يَا هَؤُلَاءِ لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ[1] مِنْ أَرُزٍّ فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ فَقُلْتُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَسُقْهَا فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَسَاقَهَا فَإِنْ كُنْتَ

(١) هو مكيال يسع ثلاثة آصع. ينظر: عمدة القاري للعيني (٥٢/١٦).

تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَانْسَاحَتْ[1] عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ[2] مِنَ الْجُوعِ فَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا فَيَسْتَكِنَّا[3] لِشَرْبَتِهِمَا فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا فَأَمْكَنَتْنِي مِنْ نَفْسِهَا فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا فَقَالَتِ اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَفَرَجَ اللهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا». [4]

لقد كان لسرد هذه القصة العجيبة؛ بهذا الأُسلوب النبوي الصادق أعظم الأَثر؛ حيث أن مدار الأَعمال على الصدق وإخلاص العبادة لله وحده دون من سواه، وهذا أهم أَمرٍ يقوم به الداعية إلى الله تعالى ويدعو إليه، فالدعوة إلى توحيد الله عز وجل هي دعوة الأَنبياء والرسل التي بعثوا لأَجلها، قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] . وهؤلاء النفر الذين آواهم المبيت إلى الغار وانطبقت عليهم الصخرة، قد أَكرمهم الله بكراماته، فتوسلوا إلى الله عز وجل بصالح أَعمالهم؛ وإنما كان ذلك بسبب معرفتهم لربهم حقَّ المعرفة حال

(١) انساحت، بالحاء المهملة أي: اتسعت، ومنه: ساحة الدار. المصدر السابق (٥٢/١٤).

(٢) أَي صياحهم وبكاؤهم. يقال ضَغا إذا صاح وضج. النهاية في غريب الحديث لابن الأَثير (٩٢/٣).

(٣) أَي: ليضعفا. ينظر: عمدة القاري (٥٢/١٤).

(٤) رواه البخاري في صحيحه: كتاب أَحاديث الأَنبياء - باب حديث الغار (١٧٢/٤ح٣٤٦٥).

الرخاء، ومن عرَف ربه في الرخاء عرَفه في الشدة، والمقصود بالمعرفة التي ينال بها العبد رضا ربه تبارك وتعالى أنها "معرفة خاصة تقتضي ميلَ القلب إلى الله بالكلية، والانقطاع إليه، والأُنس به، والطمأنينة بذكره، والحياء منه، والهيبة له" . (١)

وقد كان من وصايا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه قوله: "تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ" . (٢)

وفي هذا المعنى يقول أَبُو الدَّرْدَاء رضي الله عنه: "ادْعُ اللَّهَ فِي يَوْمِ سَرَّائِكَ لَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ فِي يَوْمِ ضَرَّائِكَ" . (٣)

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في مساق حديثه عن أَصحاب الغار: "وأَهل الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة: فإن أَحدهم: توسل بعملٍ كان ينبغي أَن يستحيي من ذكره، وهو أَنه عزم على الزنا، ثم خاف العقوبة، فتركه، فليت شعري، بماذا يدل من خاف أَن يُعاقب على شيء، فتركه تخوُّف العقوبة ؟ ! إنما لو كان مباحًا فتركه، كان فيه ما فيه . ولو فهم؛ لشغَلَه خجل الهمة عن الإذلال، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ [يوسف: ٥٣] ! ! والآخر: ترك صبيانه يتضاغَون إلى الفجر ليسقي أَبويه اللَّبن، وفي هذا البر أَذى للأَطفال، ولكن الفهم عزيز . وكأَنهم لما أَحسنوا فيما ظنُّوا، قال لسان الحال: أَعطوهم ما طلبوا؛ فإنهم يطلبون أُجرة ما عملوا" . (٤)

ومما يشير إليه الحديث، عِظم حق الأَبوين على الولد؛ حيث استجاب الله سبحانه وتعالى لأَحد أُولئك النفر الثلاثة بسبب بره بوالديه، كما أَن على

(١) جامع العلوم والحكم: ابن رجب ص (٤٤٣).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٥/١٨ح٢٨٠٢)، بتحقيق شعيب الأَرناؤوط، وأَخرون، وقالوا حديث صحيح.

(٣) المصنف: عبد الرزاق الصنعاني (١٠/٢٢٣).

(٤) صيد الخاطر: ابن الجوزي ص (٣٩٥).

الدعاة إلى الله أن يُذكِّروا بين الفينة والأُخرى بحقوق الأَبوين، ووجوب طاعتهما؛ إذ الحاجةُ ماسَّة إلى التذكير بذلك - لا سيما في هذه العصر المتأخر - وقد أَشاد النبي صلى الله عليه وسلم بحال ذلك التابعي الذي برَّ بأُمه فكان مُستجاب الدعوة، وأَمر من لَقِيه أَن يسأَله الدعاء، فقد أَورد الإمام مسلم في صحيحه وصية النبي صلى الله عليه وسلم للفاروق؛ حيث «كَانَ عُمَر بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ[1] أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ أَفِيكُمْ أُوَيْسُ[2] بْنُ عَامِرٍ ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ ؟ قَالَ: نَعَمْ . قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ[3] ؟ قَالَ: نَعَمْ . قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ؟ قَالَ: نَعَمْ . قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ ؟ قَالَ: نَعَمْ . قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ

(١) الأَمداد: جمع مدد، وهم الأَعوان والأَنصار الذين كانوا يُمدون المسلمين في الجهاد. ينظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأَثير (٣٠٨/٤).

(٢) أُويس بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو المرادي، ثم القرني الزاهد المشهور، أَدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، وسكن الكوفة، وهو من كبار تابعيها، وروى عن عمر وعلي، أسلم على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن منعه من القدوم بره بأمه، كان رحمه الله من أولياء الله المختفين الذين لا يؤبه لهم، ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَخبر عنه، ووصفه بوصفه، ونعته، لما عرفه أَحد، وكان موجودا في حياة رسول الله -صلى الله عليه وسلم وآمن به، وصدقه، ولم يلقه، ولا كاتبه، فلم يعد في الصحابة، واختلف في زمن موته، فقيل توفي أذربيجان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقيل قُتل يوم صفين مع علي رضي الله عنه. ينظر: تهذيب التهذيب (١٩٥/١)؛ وأُسد الغابة (٣٣١/١).

(٣) هذه بطون مذحج، ومذحج هو مالك بن أَدد، والبطون هي: جلد بن مذحج؛ ومراد بن مذحج؛ وسعد العشيرة بن مذحج، فمن بطون مراد بن مذحج: قَرَن بن ردمان بن ناجية بن مراد. ينظر: جمهرة أَنساب العرب لابن حزم ص (٤٧٦).

لَأَبَرَّهُ[١]، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ[٢] - فَاسْتَغْفِرْ لِي ! فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ . قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا ؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ[٣] أَحَبُّ إِلَيَّ . قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَوَافَقَ عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، قَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ قَلِيلَ الْمَتَاعِ . قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ . فَأَتَى أُوَيْسًا فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي ! قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي . قَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي ! قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي . قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ ؟ قَالَ: نَعَمْ . فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ" .[٤]

وعليه فإن أُسلوب القصص في الدعوة إلى الله عز وجل من الأَساليب

---

(١) أي: لو وقع منه قسم على الله في شيء لأجابه الله تعالى فيما سأله؛ إكراماً له، ولطفاً به، ومنه أيضاً قول أنس بن النضر رضي الله عنه: لا والله لا تكسر ثنية الربيع أبدا. فأبر الله قسمه؛ بأن جعل في قلوب الطالبين للقصاص الرضا بالدية، بعد أن أبوا قبولها. ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٦٠٩/٦).

(٢)لا يفهم منه أنه أفضل من عمر، ولا أن عمر غير مغفورٍ له؛ للإجماع على أن عمر رضي الله عنه أفضل منه، ولأنه تابعي، والصحابي أفضل من التابعي؛ وإنما مضمون ذلك: الإخبار بأن أُويساً ممن يستجاب دعاؤه. وإرشاد عمر إلى الازدياد من الخير، واغتنام دعوة من ترتجى إجابته، وهذا نحو ما أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم به من الدعاء له، والصلاة عليه، وسؤال الوسيلة له، وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم أفضل ولد آدم. ينظر: المصدر السابق (٤٩٦/٦).

(٣) يعني به: فقراء الناس وضعائهم. والغبراء: الأَرض، ويقال للفقراء: بنو غبراء، كأن الفقر والحاجة ألصقتهم بها، كما قال تعالى: ﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾[البلد: ١٦] أي: ذا حاجة ألصقته بالتراب. ينظر: المصدر السابق (٤٩٧/٦).

(٤) رواه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل أُويس القرَني (٨٩/٧ح٢٥٤٢).

التي تَأخذ مكانها عند المدعوين، وله حظٌ من العناية عند السلف رحمهم الله تعالى، ولكن مما ينبغي مراعاته في دعوة الناس عند الأَخذ بهذا الأُسلوب؛ أَن يتحرى الداعية صحة ما يَسرده من قَصص، فإن في القرآن وصحيح السنة غُنيةٌ عن بعض ما ورد من أَحاديث القُصَّاص التي يُستند في بعضها إِلى الأَحاديث المكذوبةِ والموضوعة، ويُولع بسماعها ويتهافت عليها الكثير من العامة، وإِن البعض من القصَّاص لديه براعةٌ في نسج القصص والروايات التي تعتمد على الخَيال؛ حيث يكون المقصد من وراء ذلك الاستحواذ على إِعجاب الآخرين، والتطلُّع إِلى إِسماعهم الغريب من الكلام دونما تثبتٍ أَو تبيّن لما يُقال، فيُترك الصحيح من الحديث؛ لخلوّه مما تُستفزُّ به العقول وتنصاع إِليه، ويكون مثارَ إِعجاب . "والقُصاص لا يُذمون من حيث هَذَا الاسم؛ لأَن اللَّه عز وجل قَالَ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، وقال: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وإِنما ذَمَّ القُصاص؛ لأَن الغالب منهم الاتساع بذكر القصص دون ذكر العلم المفيد، ثم غالبهم يَخلط فيما يُورده، وربما اعتمد على ما أَكثره مُحال" . (١)

كما يجب أَن يتوخى الداعية في سرده القصصي ما تقبله العقول ويُناسب الفهوم؛ فإن ذلك من فقه الدعوة إِلى الله تعالى، وقد ورد عن عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قوله: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً» . (٢)

"وإِن من العلم مالا يحمله عقل الإِنسان فيضره؛ كما قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه حدثوا الناس بما يَعرفون ودَعوا ما يُنكرون أَتُحبون أَن

(١) تلبيس إِبليس: ابن الجوزي ص (١١١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه: المقدمة - باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (٩/١).

يُكذب الله ورسوله" .[١]

وهكذا تبرز أَهمية الاعتناء بهذا الأُسلوب من قِبل الدعاة إِلى الله، والاعتماد على ما صحت به نصوص الوحيين مما له الأَثر على المدعوين والمتلقين في كل ما من شأنه صلاح دينهم ودنياهم .

(١) الاستقامة لابن تيمية (٢/١٦٠).

الخاتمة

الحمد الله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فبعد هذا التطواف بين أحاديث السنة النبوية الشريفة، فقد ظهرت للباحث مجموعة من النتائج على رأسها:

١- إنَّ الباعث الحقيقي على القيام بواجب الدعوة إلى الله تعالى؛ هو الإيمان الصادق واليقين الراسخ.

٢- إنَّ الدعوة إلى الله عز وجل بالتوحيد الخالص والعقيدة الصافية؛ هي دعوةٌ إلى الائتلاف واجتماع الكلمة ووحدة الصف، ونبذ الفرقة والاختلاف.

٣- إنَّ أهم أمرٍ يتصف به الداعية، ويكون مرتكزًا أساسيًا في تكوين شخصيته، هو الالتزام والتحلي بالمنهج الأخلاقي النبوي.

٤- إنَّ عناية الداعية بأحاديث السنة ومطالعتها ومعرفة مضامينها، وربط ذلك بواقع الدعوة؛ لهو من أهم ما تُثمر به الدعوة، وتؤتي أُكلها، ويَرسَخ به الإيمان وتثبُت أركانه .

٥- إنَّ من فقه الدعوة أن يكون الداعية على علمٍ ودراية بفقه الأولويات،.

٦- إن أحكم المناهج وأسلمها في الدعوة إلى الله تعالى؛ هو المنهج الذي رسمه الله عز وجل لأنبيائه ورسله في دعوتهم، وقد اختطَّ النبي صلى الله عليه وسلم لأُمته منهجًا واضحًا يسيرون عليه

في الدعوة إلى الله تعالى، وسار على هذا المنهج سلف الأُمة رضي الله عنهم، ومن ابتغى منهجًا سواه فقد التمس غير الصراط القويم والنهج المستقيم .

٧- إن الشريعة الإسلامية اعتنت بالطهارة الظاهرة المحسوسة كما اعتنت بالطهارة المعنوية الباطنة، وهي طهارة القلب من أدران الشرك ونجسه، والطهارة في أصلها من صفات أهل الإيمان .

٨- إنَّ على من تولى شأن قومٍ لزمه الرفق بهم، ورعاية مصالحهم، وهدايتهم إلى مكامن الخير ودلالتهم عليه، والداعية إلى الله تعالى حقيقٌ بذلك؛ بل من شأنه الحرص عليه والاهتمام به، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يراعي أحوال الناس في دعوته، ويحفظ مصالحهم، ويسعى للرفق بهم، وتلك من أهم ما ينبغي للداعية أن يتصف به .

٩- إنَّ تمسك الأُمم والمجتمعات بالقيم والمُثُل والأخلاق؛ لهو دليل رقيّها ونهضتها واستقرارها، وبفقد ذلك يحصل التفكك والتشظي وفقدان الهوية، وانتشار الخلافات وتتدهور العلاقات .

١٠- إن من تمام الإيمان بالله عز وجل وكماله؛ الانقياد والتسليم في كل ما يأتِ العبد ويذر، وإن أهل الإيمان لا يجدون في أنفسهم حرجًا مما قضى الله سبحانه وتعالى وقدَّر .

والحمد لله أولًا وآخرًا، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

المصادر والمراجع

١. **الإتقان في علوم القرآن**: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط ١. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م.

٢. **أدب الدنيا والدين**: أبو الحسن الماوردي (ت ٤٥٠ هـ). ط ١. بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٣. **أدب الموعظة**: محمد الحمد. ط ١. الرياض: مؤسسة الحرمين الخيرية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٤. **الاستقامة**: ابن تيمية (٧٢٨ هـ). تحقيق: د. محمد رشاد سالم. ط ١. المدينة المنورة: جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

٥. **أسد الغابة في معرفة الصحابة**: ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ). تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م.

٦. **الإصابة في تمييز الصحابة**: ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٧. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: محمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣ هـ). ط ١. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٨. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**: ابن القيم (ت ٧٥١ هـ). تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٩. **الأَمثال في الحديث النبوي**: أبو الشيخ الأَصبهاني (ت ٣٦٩ هـ). تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد. ط ١. بومباي: الدار السلفية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٠. **تطريز رياض الصالحين**: فيصل آل مبارك (ت ١٣٧٦ هـ). تحقيق: د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد. ط ١. الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١١. **جامع البيان عن تأويل القرآن = تفسير الطبري**: أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ). تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط ١. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٢. **تلبيس إبليس**: ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ). ط ١. بيروت: دار الفكر، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

١٣. **تهذيب التهذيب**: ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ). ط ١. الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٦هـ - ١٩٠٩م.

١٤. **التيسير بشرح الجامع الصغير**: المناوي (ت ١٠٣١ هـ). ط ٣. الرياض: مكتبة الإمام الشافعي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٥. **جامع العلوم والحكم** : ابن رجب (ت ٧٩٥ هـ). تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس. ط ٧. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

١٦. **جمهرة أَنساب العرب** : ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ). تحقيق: جماعة من العلماء. ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.

١٧. **حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه**: نور الدين السندي (ت ١١٣٨ هـ). ط ٢. بيروت: دار الجيل.

١٨. **دلائل النبوة**: البيهقي (ت ٤٥٨ هـ). ط ١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤م.

١٩. **الذريعة إلى مكارم الشريعة**: الراغب الأَصفهاني (ت ٥٠٢ هـ). تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي. ط ١. القاهرة: دار السلام، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٢٠. **سنن ابن ماجه**: (ت ٢٧٣ هـ). تحقيق: شعيب الأَرناؤوط وآخرين. ط ١. القاهرة: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢١. **الجامع الكبير = سنن الترمذي**: محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ). تحقيق: بشار عواد معروف. ط ١. بيروت: دار الغرب الإسلامي: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٢. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج = شرح النووي على مسلم**: محيي الدين النووي (ت ٦٧٦ هـ). ط ٢. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢ هـ.

٢٣. **شرح صحيح البخاري**: ابن بطال (ت ٤٤٩ هـ). تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. ط ٢. الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٢٤. **شرح عمدة الأَحكام**: ابن جبرين، وهي دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http: www.islamweb.net

٢٥. **الصحاح = تاج اللغة وصحاح العربية**: الجوهري (ت ٣٩٣ هـ). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط ٤. بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٢٦. **صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**: محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. ط ١. دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٢٧. **صحيح الترغيب والترهيب**: الألباني (ت ١٤٢٠ هـ). ط ١. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

٢٨. **صحيح سنن النسائي**: الألباني (ت ١٤٢٠ هـ). ط ١. الإسكندرية: مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة.

٢٩. **صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**: مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط ١. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٣٠. **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**: ابن القيم (ت ٧٥١ هـ). تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله. ط ١. الرياض: دار العاصمة، ١٤٠٨هـ.

٣١. **صيد الخاطر**: ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ). ط ١. دمشق: دار القلم، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٣٢. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**: بدر الدين العيني (ت ٨٥٥ هـ). ط ١. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٣٣. **غريب الحديث**: أبو عبيد القاسم بن سلّام (ت ٢٢٤ هـ). تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان. ط ١. حيدر آباد: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٣٤. **فتح الباري**: ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ). ط ١. بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ.

٣٥. **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان** موقف الإسلام منها: غالب عواجي. ط ٤. جدة: المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٣٦. **لسان العرب**: ابن منظور (ت ٧١١ هـ). ط ٣. بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ.

٣٧. **مجمع الزوائد**: الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ). تحقيق: حسام الدين القدسي. ط ١. القاهرة: مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٣٨. **مجموع الفتاوى**: ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ). تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. ط ١. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٣٩. **مختصر منهاج القاصدين**: ابن قدامة المقدسي (ت ٦٨٩ هـ). ط ١. دمشق: دار البيان، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٤٠. **مسند الإمام أَحمد بن حنبل (٢٤١ هـ). تحقيق**: شعيب الأرناؤوط وآخرين. ط ١. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٤١. **المصنف**: عبد الرزاق الصنعاني (ت ٢١١ هـ). تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط ٢. الهند: المجلس العلمي، ١٤٠٣هـ.

٤٢. **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأُصول**: حافظ الحكمي (ت ١٣٧٧ هـ). تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر. ط ١. الدمام: دار ابن القيم، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٤٣. **المعجم الوسيط**، إعداد: مجمع اللغة العربية بالقاهرة. ط ١. دار الدعوة.

٤٤. **المفاتيح في شرح المصابيح**: المُظْهِري (ت ٧٢٧ هـ). تحقيق: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب. ط ١. دمشق: دار النوادر، الكويت: وزارة الأوقاف الكويتية، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٤٥. **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**: أبو العباس القرطبي (ت ٦٥٦ هـ). تحقيق: محيي الدين ديب ميستو وآخرين. ط ١. بيروت: دار الكلم الطيب، دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٤٦. **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**: ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ). تحقيق: محمد رشاد سالم. ط ١. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٤٧. **النهاية في غريب الحديث والأثر**: ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ). تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي. ط ١. بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.